

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاعتذارُ خُلُقُ الأبرارِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَجَمَّلَهُ بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْعَفْوِ الْعَظِيمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ لِلْمُخْطِئِينَ مِنْ عِبَادِهِ الْإِعْتِذَارَ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الْعِنَادِ وَالْإِصْرَارِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، عُرِفَ بِالصَّفْحِ عَنِ الْمُخْطِئِينَ، وَوَسَّعَ حِلْمُهُ جُمُوعَ الْمُعْتَذِرِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَالزَّمُوا التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ، وَأَنْبِئُوا إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ؛ وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْخَطَأَ طَبِيعَةٌ بَشَرِيَّةٌ، وَصِفَةٌ أَدْمِيَّةٌ، فَلَا مَعْصُومَ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، غَيْرَ أَنَّ التَّوْبَةَ وَالِإِعْتِذَارَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١)، إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقَّ لَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ غَضَاظَةً فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ، وَالِإِفْرَارِ بِالذَّنْبِ فِي شَجَاعَةٍ وَصِدْقٍ، طَلَبًا لِلْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالْغُفْرَانِ، سِوَاءَ كَانَ خَطَأُهُ فِي جَنْبِ اللَّهِ أَوْ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ)).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَيْسَ هُنَاكَ أَرْفَعُ مَقَامًا وَأَعْلَى دَرَجَةً مِنْ رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أُمَّتَةً كَثِيرَةً مِنْ إِعْتِذَارَاتِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَذَلِكَ لِيَقْتَدِيَ بِهِمُ الْمُسْلِمُ فِي الْإِعْتِذَارِ عِنْدَ الْخَطَأِ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أُمَّتُهُمْ﴾^(٢)، وَأَوَّلُ مِثَالٍ أَسْهَبَ

(١) سورة آل عمران / ١٣٥ .

(٢) سورة الأنعام / ٩٠ .

القرآن في ذكرِ اعتذارِهِ أَبُو الْبَشَرِ آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، حَيْثُ فَصَّلَ الْقُرْآنُ فِي غَيْرِ مَا سُورَةٍ مَوْقِفَ آدَمَ وَزَوْجِهِ حَوَاءَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَاعْتِذَارَهُمَا لِلْمَوْلَى جَلٍّ وَعَلَاءٍ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١)، وَكَانَ جَزَاءُ اعْتِذَارِ آدَمَ مِنَ الْخَطَا تَوْبَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ، ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)، وَهَذَا نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَمْ يَمْنَعُهُ مَقَامُهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ تَقْدِيمِ الْاعْتِذَارِ عِنْدَ نِسْيَانِهِ عَهْدًا قَطَعَهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، مُعَلِّلاً السَّبَبَ بِالنِّسْيَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الْبَشَرِ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ (٣)، وَقَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَوْقِفًا لِعْتِذَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَوْقِفٍ مَعَ رَجُلٍ كَفِيفٍ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومِ الَّذِي جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي، وَكَانَ مَعَهُ عَدَدٌ مِنْ كَفَّارِ قُرَيْشٍ يَدْعُوهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَيَرْجُو بِإِسْلَامِهِمْ خَيْرًا كَثِيرًا، فَقَالَ لَهُ ﷺ: أَنْتَظِرْ، وَأَلْحَ عَبْدُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ، وَطَلَبَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ التَّمَهُلَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ، فَأَلْحَ عَبْدُ اللَّهِ، فَكَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ (عَبَسَ) نَقْرًا فِي صَدْرِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَى، فَأَنَّ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكِي، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (٤)، فَمَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا أَنْ اعْتَذَرَ لِابْنِ أُمِّ مَكْتُومِ، وَرَاحَ يَحْتَضِنُهُ قَائِلًا: مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

إِنَّ لِلْاعْتِذَارِ فَوَائِدَ اجْتِمَاعِيَّةً عَظِيمَةً، فَهُوَ يُضَمِّدُ جِرَاحَ الشَّحْنَاءِ، وَيُزِيلُ الْعَدَاوَاتِ وَالْبَغْضَاءَ، عِلَاوَةً عَلَى مَا فِيهِ مِنْ تَهْذِيبٍ لِنَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَكَبْحٍ لِدَوَافِعِ الْحَقْدِ

(١) سورة الأعراف/ ٢٣.

(٢) سورة البقرة/ ٣٧.

(٣) سورة الكهف/ ٧٣.

(٤) سورة عبس/ ١-١٠.

والعصيان، إلا أن هناك موانع تقف حائلاً بين الإنسان واعتذاره من الخطأ، من هذه الموانع: الجهل، وهو آفة خطيرة، وذلك أن يجهل الإنسان طبيعته البشرية، ويجهل دينه الذي يوجب عليه الاعتراف بالخطأ، ويجهل الأجر المترتب على ذلك، وليس الجهل مرتباً بالإنسان الذي لم يتلق التعليم المدرسي، بل قد يكون محصلاً لكثير من المعارف، ولكنه جاهل بفضيلة الاعتذار وجاهل بدينه الذي يأمره بهذه الفضيلة. وثاني هذه العوائق التي تعوق المسلم عن الاعتذار الكبر، فهو يغرس في نفس صاحبه الغطرسة والبطر، وعدم الاعتراف بحقوق الناس في حفظ كرامتهم، فهو يرى نفسه فوق الناس، كما حدث لإبليس الذي منعه الكبر من امتثال أمر الله بالسجود لآدم، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (١)، وكان المانع الذي منعه أنه «أبى واستكبر»، وعندما ناقشه الله عز وجل في عدم سجوده منعه الكبر من أن يعتذر، فقد رأى في نفسه الخيرية على آدم ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (٢).

فاتقوا الله - عباد الله -، واحذروا هذه الموانع، وتخلقوا بخلق الاعتذار عند حدوث الأخطاء، واقبلوا عذر من اعتذر؛ تتالوا من الله أجراً كبيراً، ومن إخوانكم احتراماً وتوقيراً.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم، وأدعوه يستجب لكم إنه هو البر الكريم.

*** **

الحمد لله العزيز الجليل، أمر عباده بالقول الحسن والفعل الجميل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده

(١) سورة البقرة/ ٣٤.

(٢) سورة الأعراف/ ١٢.

وَرَسُولُهُ، أَدَبُهُ رَبُّهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُ، وَجَعَلَهُ خَلِيلَهُ وَحَبِيبَهُ، ﷺ وَعَلَى إِلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى تَقَافَةِ الْعِزِّ وَالْإِحْسَانِ، وَتَعْمِيقِهَا فِي مُجْتَمَعَاتِنَا وَبُيُوتِنَا إِنْ أَرَدْنَا رِضَا اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ عَنَا، وَالرَّفْعَةَ لَأَنْفُسِنَا، وَالنَّهْضَةَ لِمُجْتَمَعَاتِنَا، فَالْإِعْتِذَارُ يَغْرِسُ فِيْنَا
الْمَسْئُولِيَّةَ، وَالْوُقُوفَ عَلَى مَا فَعَلْنَا مِنْ خَيْرٍ فَتَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ، وَمَا بَدَرَ مِنَّا مِنْ خَطَا
فَنُصَحِّحُهَا، وَإِنَّ الْمُجْتَمَعَ الَّذِي يَفْقِدُ خُلُقَ الْعِزِّ وَالْإِحْسَانِ وَيُكَابِرُ فِيهِ مُجْتَمَعٌ يَخْسِرُ دِينَهُ
وَدُنْيَاهُ، أَمَّا الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ فَهُوَ مُجْتَمَعٌ تَصَفُّو فِيهِ النُّفُوسُ وَتَطْيِبُ، وَتَسْتَجِيبُ
لِدَوَاعِي الْوَحْدَةِ وَالْإِحْسَانِ، فَتَتَوَلَّدُ الرَّغْبَةُ فِي الصَّفْحِ وَقَبُولِ الْعِزِّ، وَيَنْشَأُ الْعِزْمُ
عَلَى الْأَسْفِ وَالْإِعْتِذَارِ. وَلِنَبْدَأُ بِذَلِكَ فِي بُيُوتِنَا حَتَّى يَكُونَ الْعِزِّ خُلُقًا لَنَا نَعْمَلُ بِهِ
وَنُرَبِّي أَبْنَاءَنَا عَلَيْهِ، فَرُبَّمَا أَخْطَأَ زَوْجٌ فِي حَقِّ زَوْجِهِ، وَكَانَ يَكْفِي لِعِلَاجِ خَطِيئَتِهِ
كَلِمَةً بَلْ كَلِمَةً تُضَمُّ الْجِرَاحَ، وَتَقْضِي عَلَى بَذْرَةِ الشَّقَاقِ الَّتِي يَبْذُرُهَا الشَّيْطَانُ، وَرُبَّ
أَبٍ وَعَدَّ وَلَدَهُ بِهَدِيَّةٍ أَوْ بِجَائِزَةٍ، وَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ إِنْجَازِ الْوَعْدِ، وَكَانَ يَكْفِي الطِّفْلَ كَلِمَةً
حُلُوةً تَعْتَذِرُ مِنْ تَأَخُّرِ الْوَعْدِ، وَتَعِدُّهُ بِإِنْجَازِهِ عِنْدَ الْإِسْتِطَاعَةِ. إِنَّ الْعِزِّ كَلِمَةً،
لَكِنْ لَهَا مَفْعُولُ السَّحْرِ عَلَى النُّفُوسِ، تَلِينُ بِهَا الْقُلُوبُ الْغَلِيظَةَ، وَيُمَحِّي بِهَا الْخَطَا نَحْوَ
النَّاسِ مَهْمَا كَانَ، فَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْقَدَتْ حَرْبًا وَنَارًا، وَكَمْ مِنْ كَلِمَةٍ اعْتَذَرَ قَصِيرَةً
أَطْفَأَتْ نَارَ حَقْدٍ وَخِصَامٍ، وَلِذَا فَتَقَافَةُ الْعِزِّ حَاجَةٌ مُلِحَّةٌ لِلْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّمِ،
إِذَا كَانَتْ تَبْغِي عَيْشًا سَلِيمًا، يَقُومُ عَلَى الْحُبِّ وَالْوِثَامِ، وَيُفْسِدُ عَلَى الشَّيْطَانِ إِثَارَةَ
الشَّقَاقِ وَالْخِصَامِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَحْرِصُوا عَلَى الْأُلْفَةِ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَالصُّلْحَ بَيْنَ
أَخَوِيكُمْ، وَمَنْ أَخْطَأَ مِنْكُمْ فِي حَقِّ الْآخَرِينَ فَلْيَعْتَذِرْ بِلا خَوْفٍ وَلَا وَجَلٍ، فَإِنَّ الرُّجُوعَ
إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللهُ تَعَالَى
بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى
سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ
فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا
شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

